# معالم الطريق نحو وحدة إفريقية

للأستاذ محمد رفعت

رئيس قسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بالمعهد

إن معالم الطريق أمام الشعوب لإدراك وحدتها كما دل عليها التاريخ نراها واضحة إذا ما أنعمنا النظر فى تطور الحركات القومية التى تمت فى شمال أمريكا وفى أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر ؛ فهى تبدأ عادة بمرحلة ( الأحياء Renaissance ) . وفى هذه المرحلة يظهر عدد من الزعماء والمفكرين من أصحاب الهمم والعقول الراجحة يغذون مواطنيهم بما يبثونه من آراء وتعاليم وكتب ورسائل وما يرسمونه لهم من أهداف تهيء لبلادهم حكما صالحاً وحياة أفضل. ثم تأتى المرحلة الثانية وهى مرحلة ( الاستقلال ) التى تجتازها الشعوب عادة بعد كفاح مرير ونضال ضد القوات المعوقة للاستقلال سواء أكان ذلك من الداخل أم من الخارج . ثم تأتى أخيراً مرحلة (الوحدة) إذا اتفق وجود وحدات تامة الاستقلال أو ناقصة ولكنها جميعاً تنتمى إلى أمة واحدة .

ومرحلة الوحدة هى مرحلة التدريج الطويلة الأمد التى تأتلف فيها الشعوب المرتبطة بعضها ببعض بعوامل مختلفة من السلالة ومن اللغة أو الدين أو من الجوار الجغرافى أو من المشاركة فى التاريخ والتقاليد . وليس من الحتم أن تجتمع هذه العوامل كلها لتشكل الوحدة ، بل يكفى لذلك توافر أحدها أو بعضها . وقد دل التاريخ على أن قيام الوحدات القومية السياسية يسبقه عادة تنظيم وحدة اقتصادية جمركية وتجارية(١) .

وإذا ما طبقنا هذه القواعد على الشعوب الإفريقية فى مسيرتها نحو وحدة أفريقية أو جامعة أفريقية تتسم صورتها بطابع القومية الأفريقية نجد أن الشعوب الأفريقية بصفة عامة قد اختصرت المراحل الثلاث التى كان يجب أن تمر بها القومية

---

(١) Brinton, Crane; «The Anatomy of Revolution» (Jonathan London 1956).

الإفريقية إلى مرحلة واحدة أو مرحلتين على الأكثر ، مما دعا بعض غلاة المحافظين إلى القول بأنه لارجاء يبتغى من مثل هذه الدول أو من مثل هذه الوحدة أو القومية ؛ لأن الشعوب الأفريقية التى استقلت والتى تريد أن تعمل للوحدة لم تأخذ بعد بأسباب التحرر المجدى ولم تتمرس بالاستقلال وتقضى فيه المدة الكافية للنضج والتدريب وبلوغ المستوى اللازم للوحدة . ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن المقاييس والمعايير التى كانت تقاس بها استعدادات الشعوب لاستقلال والوحدة فى القرن التاسع عشر قد غشيتها التغيرات التى طرأت على أفكار الناس والحكومات وتصرفاتهم فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهور الكشوف الحديثة المذهلة فى عالم الذرة والصواريخ والرادار والأجواء الكونية ، مما انبنى عليه فى المجال العلمى والمادى إلغاء المسافات الزمنية والمكانية ، وفى المجال السياسى ظهور الأمم المتحدة وتوابعها ، ومواثيق حقوق الإنسان وقوات الطوارىء و « اليونسكو » . لذلك كان طبيعياً أن تدمج معظم الشعوب الأفريقية مراحل التطور المصطلح عليها فى مرحلة واحدة ؛ فقد فاز معظمها بحق الاستقلال ولا يزال زعماؤها ومفكروها يبثون آراءهم وينشرون كتبهم ورسائلهم من أجل تبصير شعوبهم بواجباتهم وحثهم على مواصلة الكفاح والعمل لبلوغ الهدف الأسمى وهو الوحدة الأفريقية .

ولقد نشر « نكروما » زعيم غانا السابق أول كتاب له عن « غانا » وحياته فى عام ١٩٥٧ بعد أن فازت غانا بحق الحكم الذاتى فى ذلك العام نفسه . أما كتابه عن الحرية فقد نشر فى عام ١٩٦١ ، و « سيكوتورى » زعيم « غينيا » أخرج كتابه عن « الوحدة واستقلال أفريقيا » فى عام ١٩٥٩ بعد أن اختار شعبه الاستقلال والانفصال عن فرنسا فى استفتاء عام ١٩٥٨

ونشر « مبويا » أحد زعماء كينيا السابقين كتابه « الحرية وما بعدها » فى عام ١٩٦٣ حين استقلت كينيا ، وكذلك أصدر « كواندا » زعيم « زامبيا » كتابه عن « حرية زامبيا » فى عام ١٩٦٣ أى قبل استقلالها بعام واحد .

من ذلك نرى أنه بينما قضى الشعب الإيطالى مثلا أكثر من ستين عاماً فى كفاح دائب وحروب متلاحقة ضد السلطات الرجعية فى إيطاليا وضد القوات النمسوية

التى كانت تحتل مساحات واسعة فى شمال إيطاليا فى سبيل جميع شتاته الوطنى وقيام وحدته ، نرى أن معظم الشعوب الأفريقية قد نالت حق الحكم الذاتى والتمتع بالاستقلال والسيادة التامة فى مدى لايزيد على ثمانية عشر عاماً على الأكثر .

ويجب أن يستقر فى أذهاننا أننا إذا تحدثنا عن أفريقيا بصفة عامة فإننا نستبعد بطبيعة الحال شمالى أفريقيا ، فعلى ساحل أفريقيا الشمالى قامت دول لها تاريخها المتأثر بالحضارات القديمة والمتوسطة والحديثة ، وتعاقبت على هذا الساحل حضارات مصر القديمة وفينيقيا واليونان والرومان ثم حضارة العرب الإسلامية وأخيراً الحضارة الأوروبية الحديثة ، وقد نعمت شعوب هذه المنطقة بفترات مارست فيها استقلالها السياسى ولو لفترات معينة فى تاريخها وارتبطت فى أثنائها بدول العالم بمعاهدات أو اتفاقات سياسية واقتصادية وتجارية . أما فى المناطق الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى فإن العالم لم يعرف عنها شيئاً يُذكر إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، ذلك لأن المستكشفين من الأوربيين الأول كانوا يقتصرون على بناء محطاتهم وحصونهم ومخازنهم على سواحل البلاد تاركين داخل البلاد على الأكثر فضاء مجهولا ولغزاً محيراً .

ومع ذلك وعلى الرغم من حداثة عهد شعوب أفريقيا جنوبى الصحراء بالاستقلال وضعف مستواهم الحضارى العام بالقياس إلى الشعوب الأوربية مثلا نرى اليوم أن لفكرة « الرابطة الأفريقية » من الأثر ومن الرنين والجدية أضعاف ما لفكرة الوحدة الأوربية ؛ ففضلا عن الانقسام السياسى فى أوربا بين الكتلتين الشرقية والغربية فإننا مازلنا نرى معالم الفرقة والتشكيك والمنافسة واضحة صارخة حتى بين أعضاء كل من المعسكرين . وإذا كانت دول أوربا الغربية قد نظمت جمعية عامة أوربية فى عام ١٩٥٨ - فى مدينة « استراسبورج » بفرنسا يشترك فيها مندوبون عن برلمانات الدول الأعضاء بنسب معينة ، فإننا نعتبر هذه الجمعية بعيدة كل البعد عن تمثيل أوربا بصفة عامة .

ومع أن الدول الاستعمارية التى كانت مطلقة التصرف فى مصاير معظم الشعوب الأفريقية لم تحاول مرة أن تتفق فيما بينها على نظام سياسى يكون من شأنه تقريب

الشعوب الأفريقية بعضها إلى بعض فإن شعور الأفريقيين بفكرة القومية أو الوحدة قد جمع بينهم بدرجة جعلت معظم الدول الأفريقية تضع فى مقدمة برامجها السياسية إنجاز الوحدة الأفريقية . وهناك دول مثل « غانا » سجلت فى دستورها أنها على استعداد للنزول عن جزء من سيادتها أو عن سيادتها كاملة فى سبيل إنشاء وحدة إفريقية ناجزة . هكذا فعل « نكروما » فى الدستور الذى وضعه لغانا . وهكذا فعل « سيكوتورى » فى دستور غينيا .

ومما ساعد على إنماء فكرة القومية الأفريقية وتقويتها أن الحدود السياسية التى تفصل بين بعضها وبعض هى فى معظمها خطوط وهمية فرضية اصطنعتها الدول المستعمرة لتحديد مدى نفوذها دون مراعاة لأية اعتبارات جغرافية كانت أو قبلية أو اجتماعية . ومما ساعد أيضاً على وحدة الشعور بفكرة الجامعة الأفريقية الرغبة المشتركة لدى الجميع فى ممارسة استقلالهم دون تدخل ظاهر أو خفى من جانب الدول المستعمرة القديمة ، وانتهاج سياسة خارجية تجنح بصفة عامة إلى الحيدة وعدم الانحياز ، ومما يساعد أيضاً على دعم التقارب بين الشعوب الأفريقية ضرورة مواجهة المسائل المشتركة الخاصة بالتنمية الاقتصادية والاتفاق بشأن الأنهار التى تجتاز حدود أكثر من دولة وتخترق أراضيها جميعا ، وهناك الشئون الخاصة بتفشى الأمراض ومراقبتها ، وشئون النقل والمواصلات ، كل هذه مسائل تتطلب التعاون والتضامن بين معظم دول القارة . يضاف إلى ذلك أن معظم الشعوب الأفريقية تعمل على « توليد » إيديولوجية أفريقية تنبع من صميم قارتهم وتعبر عن نفسها باحدى اللغتين الشائعتين الانجليزية أو الفرنسية . ولا ننسى القيم السياسية والأدبية التى كسبتها دول افريقيا فى أروقة « الأمم المتحدة » وتوابعها كلما جمعت كلمتها وتوحدت وجهات نظرها فى المسائل المعروضة أمامها . ولا بد أن نشير هنا إلى القرار الذى اتخذته الجمعية العامة بالأمم المتحدة فى عام ١٩٦٠ بشأن تعيين لجنة خاصة تشرف على تصفية الاستعمار ، وقد جاء فيه :

«The subjection of peoples to alien .. domination and exploitation constitutes a dénial of fundamental rights, is contrary to the Charter of the United Nations, and is an impediment to the promotion of world peace and cooperation».

ومغزى ذلك أن فكرة إخضاع الشعوب واستغلال مصادر ثروتها على أيدى الأجانب يعتبر عملا ينقض ميثاق الأمم المتحدة ويسلب حقاً أساسياً من حقوق الشعوب كما يعتبر معوقاً لها عن السير فى طريق التطور والتقدم .

وهناك آراء أولئك المتطيرين الذين يقدرون السوء مقدماً فى كل مايعرض من شئون ، فهم يرون مثلا أن فكرة « القومية أو الوحدة الأفريقية » إنما هى خيال يتصوره الأفريقيون ولا يمكن تحقيقه إلا بعد مرور وقت طويل . ويسوقون من معوقات الوحدة المساحات الشاسعة المختلفة التربة والتضاريس الطبيعية التى تحتويها معظم الأقاليم ، ووجود نحو أربعين مجتمعا سياسيا لكل منها ظروفه وسياسته الخاصة . وأن هناك الخلافات الدينية النابعة من تعدد الحقائق والمذاهب الدينية التى تسود القارة . كما إن من معوقات الوحدة قيام النظم القبلية فى معظم المجتمعات الأفريقية ، وأن هذه النظم ستبقى ما دامت نسبة الأمية بين الشعوب الأفريقية على حالها من الهبوط وما دامت حركتا التصنيع والتعدين فى الاقاليم المختلفة تسيران على مهل وبطئهما الحالى. يضاف إلى ذلك وجود عدد ليس بالقليل من الأوربيين بمختلف دول القارة وخاصة فى « جمهورية جنوب أفريقيا » و « روديسيا » وتغلغل الحرب الباردة واحتدام التنافس القائم بين المعسكرين الغربى والشرقى فى معظم جهات أفريقيا ، فالجانبان يعملان جاهدين على كسب الأفريقيين كل إلى مذهبه الأيديولوجى السياسى بواسطة تقديم العون المالى والتكنولوجى والثقافى . ومهما يكن من أمر فان معظم هذه المعوقات تواجه دولا كثيرة فى غير أفريقيا ، وما هى فى النهاية إلا ظواهر مؤقتة وليس من العسير التغلب عليها متى صح التخطيط وتوافر المال والجهد والعمل المنظم .

* * *

والأصل فى مولد فكرة القومية الأفريقية هم زنوج أمريكا ، ولا غرابة البتة فى ذلك ، فزنوج أمريكا سواء منهم من كانوا فى أمريكا الشمالية أو فى جنوب الهند الغربية أصبحوا بعد طول اختلاطهم او امتزاجهم بالبيض سواء أكانوا من الفرنسيين ام البريطانيين أم الأمريكان البيض وغيرهم كانوا قد ارتفعت مداركهم

ونمت تجاربهم ونضجت عقولهم نتيجة للتعايش وللدرس والإطلاع وأصبحوا بطبيعة الحال أقدر من زنوج أفريقيا على معالجة الشئون السياسية العامة .

ولا ينبغى أن نبخس شأن الدور الذى قامت به الولايات المتحدة بطريق غير مباشرة فى إذكاء روح القومية الأفريقية إذ كانت أمريكا هى البادئة بفكرة تأهيل السود فى مواطنهم بأفريقيا ؛ فقد أنشأت لهم دولة زنجيـــة فى «غرب أفريقيا» أسمتها « ليبريا - Liberia » فى عام ١٨٢٤ . ومع أن التجربة لم تسفر عن نجاح محسوس لتباين المستوى بين زنوج أمريكا وزنوج أفريقيا فإن الولايات المتحدة ظلت ملاذاً يلجأ إليه الأفريقيون القادرون لاستكمال دراساتهم فى جامعاتها ومعاهدها فقد تخرج فى جامعات أمريكا عدد من الزعماء الأفريقيين أمثال « نكروما » و « نيريرى » و « كواندا » و « باندا » وغيرهم ممن قادوا حركة التحرير الأفريقى وتأثروا بالغربيين تأثراً تاماً ولـكن الغربيين رفضوا قبولهم معهم على قدم المساواة .

"Nationalism... has been sparked and led by the... Western educated middle class intellectuals and professional Africans ; by those who have come closest to the Western world but have been denied entry on full terms of equality" (١)

ويعتبر « ماركوس جارفى - Marcus Garvey » أول من تغنى بالجنس الأسود فى الأزمنة الحديثة وبشر الزنوج بقيام دولة لهم فى موطنهم بأفريقيا . ولد جارفى عام ١٨٨٧ بجزيرة « جامايكا » من جزر الهند الغربيـــة التابعة لبريطانيا . وكان خطيباً بليغاً مؤثراً استطاع أن يحرك مشاعر السود أينما كانوا نحو فـكرة القومية الأفريقية . وقد أنشأ « جارفى » فى جاميكا فى عام ١٩١٤ « المؤسسة العامة لتحسين حال الزنوج » ، كما أسس صحيفة أسمها « عالم الزنوج Negro World » ، وقد كانت شعارات « جارفى » فى صحيفته وفى خطبه ورسائله : « رب واحد وهدف واحد ومصير واحد » و « أفريقيا الأفريقيين » ،

---

(١) Wallbank : «Documents on Modern Africa,» p. 86 (Princeton, U. S. A 1964).

كما أنه بشر الأفريقيين بالمسيح الأسود والسيدة العذراء السوداء » ! ! ومع أنه لم تطأ قدمه أفريقيا قط فإن كتاباته وخطبه عن الزنوج والجنس الأسود قد جذبت إليه مشاعر السود فى كل مكان حتى عدّوه رسولا بعث لإنقاذ السود ورد اعتبارهم فى كل مكان . وقد أعلن « جارفى » ضمن قرارات مؤتمر عقده فى نيويورك عام ١٩١٤ بشأن حقوق الشعوب الزنجية « إننا نؤمن بحرية أفريقيا من أجل الشعوب الزنجية فى العالم وذلك تطبيقاً للمبدأ القائل بان أوربا الأوربيين وآسيا للآسيويين. ونحن نطالب بأن تكون أفريقيا للأفريقيين فى الداخل والخارج ! »

"We believe in the freedom of Africa for the negro people of the world, and by the principle of Europe for the Europeans and Asia for the Asiatics ; we also demand Africa for the Africans at home and abroad" (١)

وإذا كان « جارفى » قد خدم قضية الزنوج من الوجهة الروحية الشعبية ، فإن « ديبوا Du Bois » يعتبر من الوجهة العملية المؤسس الأول لفكرة «الجامعة الأفريقية » ، وإليه يرجع الفضل فى إقامة المؤتمرات وموالاة فكرة « الجامعة Pan-Africanism» بالعمل والدعاية حتى نضجت وظهر الزعماء الأفريقيون الذين أخذوا على عاتقهم مهمة النضال فى سبيل تحقيق الفكرة ، وكان « ديبوا » كاتباً وأستاذاً فى الولايات المتحدة ، وبدأ نشاطه فى سبيل الفكرة الأفريقية فى باريس فى عام ١٩١٩ فى أثناء انعقاد مؤتمر الصلح « فرساى » فى أعقاب الحرب العالمية الأولى حين وفد إلى باريس زعماء ومندوبون وممثلون لعدد من الشعوب المغلوبة على أمرها والتى كانت تجيش فى صدورهم آمال كبار أثارتها المبادىء والقرارات الجديدة التى بشر بها « وودرو ويلسون Woodrow Wilson » رئيس الولايات المتحدة من أجل تحرير الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها . ولم يكن يرجى لقضية الزنوج فى ذلك الوقت أى نجاح أمام ما كان يواجه مؤتمر الصلح من مشكلات ومسائل على جانب كبير من الأهمية العالمية . وكان أقصى

---

(١) T. Wallbank; Documents on Modern Africa, p. 31 (Princeton), U S A, 1964).

ما بلغه ( ديبوا ) أمام مؤتمر الصلح أنه تقابل مع (الكولونيل هوس House ) مستشار الرئيس ويلسون .

ولكن ( ديبوا ) استطاع أن يحصل على موافقة ( كليمنسو Clemençeau) رئيس وزراء فرنسا ورئيس المؤتمر فى باريس على عقد مؤتمر فى باريس يجمع بين عدد من المندوبين الأفريقيين . ولم يكن بوسع ( كليمنسو ) أن يرفض مثل هذا الطلب نظرا لما أبداه جنود ( السنجال ) وغيرهم من جنود المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا من بسالة وتضحية فى الحرب . وعلى ذلك اجتمع فى باريس فى عام ١٩١٩ أول مؤتمر أفريقى من ٥٧ عضوا من خمس عشرة دولة منهم ١٢ مندوبا عن تسعة بلاد أفريقية فقط ؛ فقد رفضت الحكومات الاستعمارية الترخيص بالسفر لمندوبى الشعوب الخاضعة لها . على أن المؤتمر نفسه كان قليل الجدوى ، فلم يطالب المؤتمرون أكثر من تطبيق حق تقرير المصير على الشعوب الأفريقيـــة ( متى سمحت ظروف التطور بذلك ) . أما فكرة الوحدة أو الجامعة فلم تكن بطبيعة الحال مثار بحث .

وفى عام ١٩٢١ نظم ( ديبوا ) مؤتمراً ثانياً عقد ثلاث جلسات فى لندن وبروكسل وباريس على التوالى ، وقد حضر المؤتمر نحو ٤١ مندوبا من أفريقيا وقد حضر معظمهم لا بوصفهم ممثلين لشعوبهم بل بوصفهم أفراداً من أفريقيا ، ومن قرارات هذا المؤتمر عدا تكرار القرارات التى اتخذت فى المؤتمر الأول : المطالبة بحرية العقيدة والعادات الدينية والاجتماعية ، كما طالب بمقعد للزنوج فى لجنة الانتدابات بعصبة الأمم . وجدير بالملاحظة هنا أن هذه المؤتمرات كانت أمريكية أكثر منها أفريقية وأن خير ما أسدته من نجح أنها وثقت الروابط بين السود من مختلف الجهات . أما الفكرة القومية أو (الوحدة) الأفريقية فإنها بقيت فكرة خيالية تجول فى خواطر بعض المثقفين من أفريقيا . وانعقد المؤتمر الثالث فى عام ١٩٢٣ فى لندن ولشبونة . وفى عام ١٩٢٧ انعقد المؤتمر فى نيويورك ولم يحضره إلا عدد قليل من المندوبين الأفريقيين ، وكانت فكرة ( الوحدة) قد نالها العطب والضعف وجاءت الأزمة الاقتصادية الماليـــة فى الولايات المتحدة فأثرت كثيراً فى موارد هيئة المؤتمر ، وبذلك اختفت فكرة المؤتمرات مؤقتاً

إلى أن جاء عدوان الفاشية الإيطالية بزعامة « موسوليني .. Mussolini » على أثيوبيا فى عام ١٩٣٥/١٩٣٦ فأثار العدوان مشاعر الزنوج من جديد وأجّج فى نفوسهم نيران الحقد والكراهية ضد المستعمرين . وكان من أثر ذلك أن أنشىء فى لندن فى عام ١٩٣٧ « مكتب الخدمات الدولية الأفريقية » وهو المكتب الذى جمع المال اللازم لإقامة المؤتمر الخامس «للجامعة الافريقية » فى « مانشستر Manchester » فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٥ .

ويعتبر هذا المؤتمر أهم المؤتمرات الإفريقية جميعاً ، وقد اجتمع المؤتمر من ١٥ — ٢٠ أكتوبر من عام ١٩٤٥ فى مانشستر، وكان « ديبوا » هو الرئيس الروحى للمؤتمر ؛ ولكن الشبان الإفريقيين المثقفين كان لهم لأول مرة القدح المعلى فى أعمال المؤتمر، وقد حضره نحو مائتى مندوب ،ظهر من بينهم زعماء الفكرة الإفريقية أمثال: « بادمور Padmore » و « كوامى نكروما Nkrumah » و «جوموكينياتا Kenyatta » ، وبعد أن كانت العناصر البرجوازية المثقفة هى الغالبة فى المؤتمرات السابقة إذا بنا نرى الطلاب والفلاحين ونقابات العمال الإفريقية تمثل جميعها فى مؤتمر « مانشستر » .

وكانت الظروف التى انعقد فيها المؤتمر توحى بتغلب الأفكار الاشتراكية ؛ فقد انتصر حزب العمال فى الانتخابات العامة التى أجريت فى بريطانيا فى ذلك العام وعلى أثرها تولى الحزب مقاليد الحكم منفرداً بعد الحرب .

وقد غمرت البلاد فى بريطانيا فرحتان فرحة النصر بعد الحرب ، وفرحة فوز العمال فى الانتخابات وسرت هذه الفرحة فى جو المؤتمر فى مانشستر فسادت فيه روح الاشتراكية وفكرة تأميم مصادر الإنتاج المهمة فى الدولة ، فلا عجب إذا رأينا أعضاء المؤتمر ينادون بفكرة « الولايات المتحدة الأفريقية الاشتراكية » ، وأن تسود بين أعضاء المؤتمر فلسفة « ماركس Marx » الاشتراكية وأن يبرز فى المؤتمر شعار الوعى الإفريقى بديلا عن فكرة « الوعى الأسود » الذى كان يبشر بها « جارفى » قبل وفاته فى عام ١٩٤٠ . ومن قرارات المؤتمرين فى « مانشستر » أن

سياسة الانتداب أو الوصاية أو المشاركة فى الحكم فى أفريقيا لاتخـــدم مصالح الأفريقيين ، وأن الحدود التى فرضتها الدول الاستعمارية بين الأقاليم بعضها وبعض حدود اصطناعية وضعها المستعمرون لتعويق فكرة الاتحاد بين الشعوب الأفريقية ومن قراراته أيضاً التنديد بسياسة التمييز العنصرى التى تنتهجها حكومة « جنوب أفريقيا » . وقد أهاب المؤتمرون بالدول المستعمرة أن تراعى مبادىء الحرية التى أعلنها « ميثاق الأطلنطى » . وختم المؤتمرون قراراتهم بتأكيد عزمهم على أن يكونوا أحراراً ، وأنهم لن يكفوا عن إصدار الشكاوى ومهاجمة المستعمرين حتى ينالوا حقهم فى الحرية والديمقراطية وفى رفع مستواهم بانتهاج النظم الاشتراكية ، وقد وجه المؤتمر نداءاً إلى رجال المستعمرات أهابوا فيه بأن يناضلوا الاستعمار بكل ما يستطيعون من سلاح ، ونبههم إلى أن سلاح الإضراب والمقاطعة سلاح بتار لا يقهر .

"We say to the peoples of the Colonies that they must fight by all the means at their disposal... Your weapon the strike and the boycott are invincible"(١) .

* * *

وكانت الشعوب المغلوبة على أمرها قد أخذت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تملأ الدنيا صراخاً ضد تسلط دول الاستعمار السياسية و « الامبريالية » فتشجع الأفريقيون ، وسرعان ما دخلت الفكرة الأفريقية فى طور عملى جديد — طور الزحف نحو التحرر الفردى — كل إقليم وفق ظروفه وإمكانياته .

وسرعان ما جاء عام ١٩٤٧ وفيه نزلت حكومة العمال فى بريطانيا بزعامة ( أتلى Attlee ) رئيس حزب العمال عن سيادتها الإمبريالية فى الهند وما جاورها من الأقاليم الآسيوية البريطانية فاعترفت باستقلال كل من الهند وباكستان وبورما

---

(١) V. Mc Kay, «Africa in politics», p. 101.

وسيلان وقد قبلت جميعاً داخل الأمم المتحدة بوصفها دولا مستقلة . وقال الوطنيون فى المستعمرات البريطانية فى غرب أفريقيا وبخاصة فى إقليم «ساحل الذهب» الذى أطلق عليه اسم « غانا » فيما بعد أنه إذا كان المنود جديرين بالاستقلال فلماذا يحرم منه الغانيون ؟ وعلى أثر ذلك قامت المظاهرات الصاخبة فى « غانا » وتألفت لجنة لوضع دستور للبلاد وانتهت الاضطرابات فى « غانا » بأن وافق البرلمان البريطانى على منح « غانا » استقلالها الذاتى فى ٦ من مارس ( آزار ) عام ١٩٥٧ .

وكان مؤتمر باندونج قد انعقد بأندونيسيا فى أبريل (نيسان) ١٩٥٥ وجمع بين الدول المستقلة فى أفريقيا وآسيا وحضره مندوبون عن ست من دول أفريقيا المستقلة هى : مصر وأثيوبيا وساحل الذهب « غانا » وليبريا وليبيا والسودان ، ويعد المؤتمر من أهم الحوافز التى دفعت الشعوب الأفريقية قُدُمًا نحو المطالبة بالحكم الذاتى والاستقلال . لذلك رأينا أن فكرة المؤتمرات الأفريقيـــة السياسية التى توقفت منذ انعقاد « مؤتمر مانشستر » فى عام ١٩٤٥ قد عادت إلى الظهور من جديد بعد نحو عشر سنوات ؛ ففى نهاية عام ١٩٥٥ انعقد أولا مؤتمر « تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية » فى القاهرة فى ديسمبر من ذلك العام ، ثم فى ١٥ - ٢٢ أبريل (نيسان) من عام ١٩٥٨ انعقد أول مؤتمر للدول الأفريقية المستقلة فى « أكرا » عاصمة غانا ، فكان ذلك إيذانا بقرب بلوغ فكرة « الجامعة الأفريقية » رشدها . وقد لبى دعوة « نكروما » لحضور المؤتمر مصر وأثيوبيا والسودان وليبيا وتونس والمغرب وليبريا . أما جنوب أفريقيـــا فلم تحضر المؤتمر . وعندما التأم جمع المؤتمر قال « نكروما » إنه يعتقد « أن هذا المؤتمر الذى جمع بين دول أفريقيا المستقلة يعتبر أهم حدث فى تاريخ أفريقيا منذ قرون طويلة مضت » وقد دوّت أجواء المؤتمر بكلمة « الاتحاد » ولكن لم يسند أحد إلى « الاتحاد » الصفة « السياسية » التى كان « نكروما » يتوق إلى سماعها ، وإنما أكد المؤتمرون فى قراراتهم وحدة السياسة الخارجية وتقديم العون للشعوب الأفريقية التى تناضل من أجل التحرر ، والتعاون فى تنمية الروابط الاقتصادية والثقافية والتربوية .

وأراد « نكروما » أن يزيل بعض ما علق برؤوس بعض الدول من مخاوف تجاه فكرة « الوحدة » فأكد أنه يجب أن يحترم الأعضاء حق السيادة والاستقلال

المكفولين لكل دولة من الأعضاء المشتركين فى المؤتمر . وفى نهاية المؤتمر اتفق الأعضاء على ضرورة عقد مثل هذه المؤتمرات مرة كل سنتين، ثم أعلنوا أن يوم افتتاح المؤتمر فى ١٥ من أبريل (نيسان) عام ١٩٥٨ يعتبر عيداً قومياً للحرية الأفريقية .

وفى يولية (تموز) من عام ١٩٦٠ انعقد مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة فى «أديس أبابا» ، وفى هذه المرة زاد عدد الدول الأفريقية على الثمانى التى اشتركت فى مؤتمر عام ١٩٥٨ فبلغ ١٦ دولة ؛ فقد انضمت إلى المؤتمر كل من «نيجيريا» و «الصومال» و «غينيا» و «الكمرون» و «الجزائر» . كما انضمت أيضاً «مالى» و «ملاجاشى» و «سيراليون» .

وفى هذا المؤتمر الأفريقى الثانى قرر المؤتمرون تأييد ثوار «الجزائر» فى نضالهم ضد فرنسا ولم تكن الجزائر قد اصطلحت بعد مع فرنسا وكان من قرارات المؤتمر أيضاً التنديد بسياسة التمييز العنصرى التى تتبعها حكومة «جنوب أفريقيا» والاتفاق على مقاطعة هذه الحكومة . وقد قرر المؤتمر كذلك زيادة التضامن الاقتصادى بين الدول الأفريقية وذلك بانشاء مجلس «للتعاون الاقتصادى» وإنشاء بنك للتنمية الأفريقية . كما اتخذ المؤتمر قرارات بشأن «إنشاء اتحاد جوى» وتعاون تربوى وعلمى وثقافى . أما عن «الأمم المتحدة» التى وقفت إلى جانب التطور السياسى الأفريقى فإن المؤتمر أهاب بالدول الأفريقية الناشئة أن تخدم أغراض الأمم المتحدة بحدوها الإخلاص وصادق الولاء .

وإلى جانب هذه المؤتمرات الرسمية بين الدول الأفريقية المستقلة قامت مؤتمرات أفريقية شعبية أخرى لتوطيد أركان الفكرة الأفريقية بين جميع الشعوب الأفريقية فانعقد مؤتمر شعبى عام فى «أكرا» عاصمة «غانا» فى ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٥٨ ، وآخر فى «كوناكرى» عاصمة «غينيا» فى أبريل (نيسان) ١٩٥٩ ، وفى تونس فى يناير (كانون الثانى) من عام ١٩٦٠ ، وفى القاهرة فى مارس (آزار) من عام ١٩٦١ . وميزة هذه المؤتمرات الشعبية أنها أتاحت الفرصة لشعوب الدول غير المستقلة وزعمائها أن يتعرفوا بعضهم إلى بعض وأن يتبادلوا الآراء فيما بينهم . ومن أهم القرارات التى اتخذت ما قرره مؤتمر «أكرا» من ضرورة إنشاء «كتائب أفريقية» تتألف

من المتطوعين لتكون على أهبة الاستعداد لحماية حريات الشعوب الأفريقية إذا ما هاجمتها قوات الاستعمار ، ومن القرارات التى اتخذت قرار يندد بالنظام القبلى وبالامتيازات التى كان يتمتع بها رؤساء القبائل وذلك بسبب ما كانت تلقاه الدول المستعمرة من مناصرة هؤلاء الرؤساء لهم . وفى مؤتمر القاهرة وقد حضره مندوبون عن ٥٤ مؤسسة من ٣١ دولة أفريقية هاجم المؤتمرون سياسة «الاستعمار الجديد» القائم على التغلغل الاقتصادى من جانب الدول المستعمرة القديمة ومحاولتها استعادة السيطرة على مستعمراتها القديمة عن طريق الضغوط الاقتصادية .

ومنذ انعقاد هذا المؤتمر الشعبى فى القاهرة جعلت التيارات السياسية العامة فى أفريقيا تأخذ اتجاهاً حيادياً ولكن بميل ظاهر ضد دول الغرب . وقد بدا واضحا أن الاتجاه العام بين الدول الأفريقية كان نحو تركيز الجهود الأفريقية ناحية جنوبى الصحراء لا شماليها .

على أنه ينبغى أن نذكر أن فكرة « الوحدة الأفريقية » وإن لقيت تشجيعا من معظم الدول والشعوب الأفريقية فان عددا من الزعماء من أمثال الرئيس « تبمان — Tubman » رئيس « ليبريا » و « أزيكيف — Azikiwe » من زعماء نيجيريا السابقين لم يكونوا راضين تماما عن آراء «نكروما» و«سيكوتورى» اللذين كانا يبشران بإنجيل الوحدة . هذا فضلا عن أن زعماء المستعمرات التى كانت تخضع لفرنسا وفى مقدمتهم وأقواهم نفوذا « هوفويه بواتى . . . . . Houphouet - Boigny » رئيس ساحل العاج وبعده « الحبيب بورقيبة » رئيس تونس — كانوا جميعا يشيرون بضرورة التمهل فى إنشاء الوحدة وبضرورة البدء بالاتحادات الاقتصادية والثقافية حتى لا تتعرض الدول الناشئة لهزة يتصدع معها بنيان الفكرة الأفريقية جميعها . ويقول هؤلاء القادة فى تأكيد آرائهم أن الشعوب الحديثة العهد بالاستقلال تراها أشد حرصا وتمسكا بسيادتها من الدول العريقة فى الاستقلال ، وأن حاجتها فى حالتها الراهنة إلى التماسك الاقتصادى والرقى الثقافى والصناعى والزراعى أشد من حاجتها إلى الوحدة السياسية .

• • •

ومن التكتلات الإفريقية التى عاصرت فكرة الجامعة أو الوحدة الإفريقية قيام مجموعتى الدار البيضاء « كاسابلانكا .. Casablanca» و«منروفيا .. Monrovia» وقد ظهرت المجموعتان عندما فازت كل من المستعمرات الفرنسية السابقة والصومال ونيجيريا باستقلالها فى عام ١٩٦٠ وكانت الحرب الباردة بين الشرق والغرب قد بدت آثارها واضحة فى دول أفريقيا عامة وفى جمهورية «الكنجو كنشاسا» خاصة . وانقسمت الدول الأفريقية على نفسها وفقاً للتيارات السياسية والاشتراكية السائدة فيها ؛ فقد اجتمع «المحافظون» أو المنحازون نوعا إلى ناحية المعسكر الغربى فى مؤتمر «برازافيل» فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٠ . وفى «منروفيا» عاصمة «ليبريا» فى مايو (أيار) ١٩٦١ ثم «لاجوس» فى يناير (كانون الثانى) ١٩٦٢ . ومعظم الدول المشتركة فى هذه المؤتمرات الثلاثة تربط بينها علاقاتها الثقافية والاقتصادية والتقليدية بحكم أنها كانت مستعمرات فرنسية . وقد تزعمت هذه المجموعة جمهورية «ساحل العاج» وكان عددها فى أول الأمر مقصوراً على الدول التى كانت تحت الحكم الفرنسى الاستعمارى ثم انضم إليها عدد من الدول الأخرى التى يتحدث أهلها باللغة الانجليزية فأصبح عددها عشرين دولة ، هى دول المستعمرات الفرنسية السابقة وعددها ١٢ دولة يضاف إليها كل من : نيجيريا وتونس وأثيوبيا وليبيا وليبريا والصومال وتوجو وسيراليونى . ويهمنا أن نذكر أن قرارات هذه المؤتمرات قد عرفت باعتدالها وعزوفها عن الاندفاع أو الانسياق وراء العواطف السياسية ، فمن هذه المقررات مثلا ، وضع قواعد مشتركة للائتمان والتبادل التجارى ، والتفكير فى إنشاء اتحاد جمركى وسوق أفريقية مشتركة . كما أكد المؤتمرون فى هذه المؤتمرات حرصهم على احترام حقوق السيادة لجميع الأعضاء والتنديد بأى تدخل فى شئون الدول الإفريقية سواء أجاء التدخل من داخل أفريقيا أم من خارجها. وكان طبيعياً ألا يشمل هذا الحظر التدخل لمعاونة المناضلين ضد الدول المستعمرة من أجل التحرر وقد أصدرت هذه المجموعة التى عرفت باسم مجموعة « منروفيا » أو « هيئة أفريقيا وملاجاش » ميثاقا فى ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٣ أريد به أن يكون نواة لاتحاد أفريقى أكبر .

وبما أن السياسة التى انتهجتها دول مجموعة « منروفيا » كانت تتسم بالاعتدال

والميل نحو المعسكر الغربى فإن ساسة عدد من الدول الأفريقية التى كانت تناهض الاستعمار الجديد وتريد تأكيد الناحية السياسية الاشتراكية لفكرة الوحدة الأفريقية قد قرروا أن يجتمعوا ويعقدوا مؤتمراً فى « كاسا بلانكا » فى يناير ( كانون الثانى ) عام ١٩٦١ ، وقد حضره مندوبون عن كل من « غانا » و« غينيا » و« مالى » و« المغرب » و « ليبيا » والحكومة المؤقتة للجزائر والجمهورية العربية المتحدة . وكان المؤتمر يهدف أولا إلى معارضة مجموعة « منروفيا » ثم إلى معاضدة سياسة الزعيم « لومبا Lumumba » فى الكنجو كنشاسا ضد « تشومبى » والتدخل من الخارج . ومن قرارات هذا المؤتمر إنشاء بنك للتنمية الإفريقية برأس مال قدره ثلاثون بليون ريال . كما تقرر بالقاهرة فى مؤتمرهم الذى انعقد فى أغسطس ( آب ) ١٩٦١ إنشاء قيادة إفريقية عليا لصيانة استقلال الدول الإفريقية وللدفاع عن أى إقليم فى أفريقيا يتعرض للعدوان . وقد تقرر أن يختار قائد عام مصرى لقوة الدفاع المشتركة . وقد أبدى المؤتمر تأييده لنضال الجزائر ضد فرنسا وعطف على مطالب المغرب ضد « موريتانيا » .

وأخيراً وبفضل مساعى « سيكوتورى » وغيره من الزعماء تقاربت الآراء واتجهت النية إلى جمع شمل الدول الإفريقية فى هيئة واحدة . فاجتمع فى « أديس أبابا » بين ٢٢ — ٢٥ مايو ( آيار ) عام ١٩٦٣ رؤساء وزعماء ثلاثين دولة مستقلة من بينها دول شمالى أفريقيا وقرروا إنشاء هيئة تضم دول أفريقيا جميعها والجزر التى تحيط بها . وليست الهيئة التى وافق عليها المؤتمرون اتحاداً بالمعنى السياسى المفهوم ولكنها أشبه برابطة أو جمعية سياسية تألفت « لتنمية روح الاتحاد والتضامن بين الدول الإفريقية ولتنسيق التعاون فيما بينها بغية النهوض بشعوب أفريقيا وتوفير أسباب الحياة الكريمة لها » . ومن الأغراض التى ذكرها ميثاق الهيئة « العمل على على تحرير القارة من جميع أشكال الاستعمار ، وصيانة حقوق السيادة لدول أفريقيا مع تنمية روابط التعاون الدولى واحترام ميثاق الأمم المتحدة وميثاق حقوق الانسان » . وقد أكد الميثاق حق السيادة الكاملة المتساوية لجميع أعضاء الهيئة ، ونص على عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء . كما ندد الميثاق بالنشاطات الهدامة والاغتيالات السياسية .

وقد أهاب الميثاق بالدول الأعضاء أن تنسق خططها فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية والصحية، وفى الموضوعات الخاصة بشئون الدفاع والتحصين والتغذية والبحوث العلمية والفنية . وظاهر أن تأليف هذه الهيئة التى عرفت بـ«منظمة الاتحاد الإفريقى Organistion of african Unity» قد حجبت ميثاقى «مونروفيا» و «كاسابلانكا» الذين سبقا إنشاء الهيئة وجعل بقاءهما أمراً غير ذى موضوع . ومع ذلك فإن العوامل التى دفعت الدول الإفريقية إلى التكتلات السابقة مازالت تعتلج فى نفوس هذه الدول وتترك أثرها ظاهرا فى اتجاهات بعض هذه الدول ومواقفها من بعض المسائل التى ينقسم فيها الرأى وفقاً لأيديولوجية المعسكرين الشرقى والغربى . والسلطة العليا للهيئة تكمن فى «جمعية رؤساء الدول والحكومات» . ولكل دولة فى هذه الجمعية صوت واحد، وتتخذ القرارات بموافقة ثلثى عدد الأعضاء . ويلى الجمعية فى الأهمية مجلس «وزراء الخارجية» وعليه واجب تنفيذ القرارات التى تتخذها جمعية الرؤساء . ولكل عضو فى المجلس صوت واحد فحسب . وهناك عدا «الجمعية» و «المجلس» سكرتارية عامة ولجنة للمصالحة والتحكيم أما ميزانية المنظمة فتتألف من اشتراكات الأعضاء وفقاً للنظام الذى اتبعته الأمم المتحدة ويبلغ عدد أعضاء الهيئة الآن ٤٠ دولة . أما اللغات التى تستخدمها الهيئة فهى اللغة الفرنسية أو الانجليزية فضلا عن «اللغات الإفريقية إذا أمكن» . ومع أن المنظمة لم تحقق أمانى الوحدة الكاملة التى كان الزعيم «نكروما» يبتغيها لأفريقيا فإنه قد صرح على أثر إنشاء المنظمة أن اتحاد أفريقيا قد أصبح حقيقة «وأن حلمى الذى لم يفارقنى طوال حياتى قد لمسته حقيقة فى هذه الهيئة» . ومن غرائب المصادفات أن الزعيم الزنجى «Du Bois» الذى افتتح أول مؤتمر للجامعة أو الوحدة الافريقية فى عام ١٩١٩ فى باريس والذى أصبح فى آخر أيامه مواطناً غانياً قد مات فى أغسطس (آب) عام ١٩٦٣ وهو العام الذى تألفت فيه «منظمة الاتحاد الافريقى» بعد انقضاء أربعة وأربعين عاماً كلها كفاح ونضال وسجن واعتقال عانا «ديبوا» وغيره من الزعماء الوطنيين الإفريقيين .

وقد كان أول ما اهتمت به المنظمة هو تنفيذ قرارها بشأن معاونة الشعوب الافريقية المكافحة فى سبيل تحررها وتنحصر الآن فى جنوب أفريقيا وفى روديسيا وفى المستعمرات التى لا تزال تابعة للبرتغال وفى إقليم جنوب غرب أفريقيا الواقع تحت وصاية الأمم المتحدة ولا تزال تتمسك به جمهورية جنوب أفريقيا ويعرف الآن باسم «ناميبيا Nam ia»، فقد شكلت الهيئة لجنة من تسعة أعضاء يكون مقرها فى «دار السلام»، وتضطلع بتنظيم الاشتراكات المالية التى يؤديها أعضاء الهيئة لمعاونة هذه الحركات.

ولما كانت الشعوب الأفريقية فى سباق مع الزمن لتعويض التخلف الذى غشيها فى أثناء القرون الماضية فإن معظم الساسة الإفريقيين يفضلون نظام الحكم بواسطة «الحزب الواحد» أو «الحكم الديمقراطى الموجه» حتى تتفرغ الجهود وتتماسك الأيدى فى البلد الواحد لحل مسئولية الحكم ورفع المستوى العام فى البلاد. ولا تستطيع البلاد المتخلفة نوعاً أن تنهض بنفسها إلا بتوجيه من حكوماتها وبدراسة التخطيطات اللازمة لرقيها على أسس علمية تضعها الحكومات. ومن أكبر معوقات الوحدة التى بدت فى السنوات الأخيرة تلاحق الانقلابات السياسية الأخيرة فى عدد كبير من دول أفريقيا الحديثة على أثر تمتعها بالاستقلال، وتكالب بعض القادة وبخاصة العسكريين منهم على الاستئثار بالسلطة. ومن شأن هذه الانقلابات أن تؤدى إلى تركيز الجهود فى المجال الداخلى لا القومى. ومعظم الساسة الوطنيين فى الدول الأفريقية يتمسكون ولو ظاهراً بسياسة (الحيدة الإيجابية) ويجنون من اتباع هذه السياسة بعض الثمرات فهم يفيدون من القروض والخدمات التى تقدمها دول المعسكرين الغربى والشرقى. ولا تزال الدول التى كانت تخضع لفرنسا ترى فى استمرار علاقاتها الثقافية والدفاعية والاقتصادية مع فرنسا فوائد جمة وبخاصة فيما يتعلق بالسوق الأوربية.

وإذا كانت الشعوب الإفريقية فى أثناء كفاحها ضد الاستعمار من أجل إدراك

الحكم الذاتى والاستقلال قد وجدت بين طبقاتها دوافع قوية نحو التعاون وتنسيق الجهود فإن مما لاشك فيه أن هذه الشعوب بعد تمتعها بالاستقلال والسيادة التامة وبعضوية الأمم المتحدة تستطيع أن تتجه بكامل طاقتها نحو تثبيت كيانها الوطنى وتوكيد شخصيتها ووحدتها الافريقية ،وهى مهمة موكول أمرها إلى الزمن وإلى الشباب الأفريقى الجديد ، ذلك لأن فكرة الوحدة وما تنطوى عليه من اقتصاد فى نفقات الدفاع والتمثيل السياسى مثلا ومن تجسيد للصفات التى يتميز بها العنصر الأسود فى المجال الدولى والسياسى ما فتئت تجيش فى صدور الشباب الافريقى وتدفعهم إلى العمل الدائب نحو رد اعتبارهم وإثبات شخصيتهم الافريقية الأصيلة .